المحاضرة الاولى: مفهوم فلسفه التاريخ و مجالات تطبيقاتها

الجزء الأول: مفهوم فلسفة التاريخ

إن فلسفة التاريخ تقوم على كلمتين "فلسفة" و"تاريخ" ومن هنا يجب تعريف و توضيح المفهومين منفصلين عن بعضهما البعض ومعرفة العلاقة بينهما وذلك من أجل معرفة مفهوم "فلسفة التاريخ"

كلمة فلسفة: ودون الدخول للمعنى المجرد لكلمة الفلسفة؛ نعني بها التأمل التجريدي للظواهر البشرية ومحاولة تفسيرها. أي النظر وتجريد الظواهر من ملابساتها وتحوليها إلى مفاهيم، بحيث يمكن استخدامها في سياقات أخرى. وهي البحث والمعرفة والاستكشاف (اريسطو) وهي العلم بالموجودات بما هي موجودة (الفارابي) وهي طريقة خاصة من طرائق التفكير يلتزم فيها الانسان بالنظر الكلي للكون وعلاقته به (الفارابي)

كلمة تاريخ:

التاريخ دراسة للتطور البشري في جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية، أيا كانت معالم هذا التطور، وظواهره واتجاهاته، وإذا أردناأن نفصل التعريف فإن البعض يرى أن كلمة التاريخ تعني نجموعة الحوادث التي ظهرت في حياة البشرية كما أنها تعني الإلمام بتلك الحوادث. وأن كلمة "أستوريا" Istoria يونانية الأصل تدل جذورها على معنى الرؤية والمشاهدة، حيث تعني الاستقصاء بقصد المعرفة.

ويمكن معرفة التاريخ على أنه كل المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون وما جرى على سطح المعمورة من حوادث الانسان، من ذلك نجد المؤرخ هربرت جورج ويلز (1946/1866) يقول في كتابه "موجز تاريخ العالم" بدراسة نشأة الكون والأرض وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة.

يذكر البعض أن كلمة التاريخ فارسية وأن العرب أخذوها من الفرس لذا فإن التاريخ يعني لغويا التوقيت أي تحديد زمن الأحداث والأوقات وحدوثها. ويعتبره آخرون على أنه وعاء الخبرة الانسانية.

علم التاريخ

علم التاريخ هو ذلك الفرع من المعرفة الانسانية الذي يستهدف جميع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها، كما يحاول إبراز الترابط بين هذه الأحداث وتوضبح العلاقة السببية بينها. وهو عندما يفعل ذلك يبدو علماً سكونياً كالجغرافيا الوصفية ولكن عندما ننتقل لاستكشاف القوانين والاستفادة منها يتحول إلى علم حركي ديناميكي كتحويل الجغرافيا إلى الجيوبولتيك.

فمثلا عند دراسة موضوع القومية العربية وتحديد علميا كفكرة ديناميكية لا يمكن فهمها على أنها مجرد فكرة، أو نوع جديد من السلوك يسعى للقيام به، وهذا يتطلب دراسة ومعرفة وإدراك عوامل كثيرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وسلوكية،ومن ثم تتم دراسة التاريخ كتطور ديناميكي لأفكار وأنواع من السلوك.

فموضوع علم التاريخ يتسع ليشمل جميع المسائل البشرية، وما يقع من الانسان أو يقع عليه وكل ما يبنيه أو يهدمه داخل في حدود البحث التاريخي وعلم التاريخ.

العلاقة بين الفلسفة والتاريخ:

لقد ارتبطت الفلسفة بالتاريخ ليس فقط من حيث هو تاريخ الفلسفة أي رصد تاريخ الفكر البشري وتقلباته بل من حيث هو فلسفة التاريخ أي التفكير في تطور التاريخ وحركته ومحاولة البحث عن قانون يحكم هذا التطوّر ويصف هذه الحركة. بل إن تاريخ الفلسفة ذاته ليس رصداً ميتاً للمذاهب والنظريات الفلسفية عبر التاريخ دون رجوع إلى ظروفها التاريخية وتعبيرها عن روح

العصر، بل هي معرفة التجارب البشرية الفردية والاجتماعية والتاريخية التي خرجت منها هذه الفلسفات.

الصلة بين الفلسفة والتاريخ واضحة بذاتها. وعليها يتوقف موتها أو حياتها. إذا ما ارتبطت الفلسفة بالتاريخ تنمو وتزدهر وتحيا. وإذا انفصلت عن التاريخ تخبو وتتقلّص وتموت.

وأغلب ما يشاهد فيه موت الفلسفة وحياتها في التاريخ في نهاية مرحلة وبداية أخرى، وفلسفة العصور الذهبية حية باستمرار، وفلسفة الخمود والانحطاط ميتة باستمرار، ولكن البعث الفلسفي يحدث في لحظات الموت والحياة عندما تخبو حركة التاريخ ثم تبعث فيها الحياة من جديد. فأرسطو وابن خلدون وشبنجلر وتوينبي وبرجسون وهوسرل في نهاية عصر عندما تؤذن الحضارة بالنهاية. وسقراط والكندي، وديكارت، والطهطاوي بدايات لعصور عندما تُبْعَث الحضارة من جديد.

تموت الفلسفة إذن عندما تكون خارج التاريخ لا شأن لها بتطور الروح البشري ولا بحياة الشعوب.

وقد حييت الفلسفة بشكل واضح في العصور الحديثة خاصة ابتداءً من القرن الثامن عشر بعد اكتشاف فلسفة التاريخ والوعي بالتاريخ ابتداءً من فيكو وكوندرسيه وفولتير وروسو حيث ارتبطت الفلسفة بالتاريخ. وحين أصبح التاريخ موضوع الفلسفة المفضّل، تحوّلت العناية الإلهية إلى قانون للتقدّم، وأصبحت الفلسفة هي المعبّرة عن هذا التقدم، وقد ظهر ذلك بوضوح في حركة التنوير في ألمانيا عند لسنج وهردر وكانط. وقد ازدهرت الفلسفة بصورة أوضح عند هيجل. فهو الذي فَلْسَفَ التاريخ وأرَّخ الفلسفة، وجعل للفكر مساراً في التاريخ، وجعل التاريخ تحققاً للفكرة، فوحَّد بين الفلسفة والتاريخ، فالوعي تاريخ الوعي، والمنطق تاريخ المنطق، والفلسفة تاريخ الفلسفة، والجمال تاريخ الجمال، والدين تاريخ الدين، والسياسة تاريخ السياسة، والتاريخ تاريخ الحضارات البشرية.

مفهوم فلسفة التاريخ:

يرجع أول استخدام لفظ "فلسفة التاريخ" إلى فرانسوا ماري المعروف "فولتير" الفيلسوف الفرنسي (1694–1778) وإن كان ذلك لا يعني أنها قد ابتدأت به من حيث الفكرة، وإنما ترجع إلى ابن خلدون، وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وهو بذلك يعني كل رواية حكم العقل ببطلانها أو محتملة الشك تعد نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ لدى فولتير واستنكاره أن تصبح دراسة التاريخ حكايات عن المعارك الحربية والمعاهدات والسياسات، وهوإذ أراد تنقيح الدراسات التاريخية، فقد قصد أيضا إلى تعديل طبيعة الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة.

تبحث فلسفة التاريخ في التصورات العامة والشاملة للتاريخ وكذا في نهاية التاريخ الشامل والكلي وبالتالي فإن فلسفة التاريخ لا تختص بالنظرة الجزئية المنعزلة المنفردة بل هي طرح كلي وشامل للتاريخ من خلال البحث في القوانين التي تحكم التاريخ وتؤثر في مجريات أحداثه ووقائعه إن " فلسفة التاريخ هي ذلك العلم الذي يحاول أن يكشف القوانين الموجهة لحركة المجتمعات والدول والنهضات وأسباب صعودها وهبوطها، وليست وظيفة هذا العلم قاصرة على توصيف هذه القوانين ولكنه كأي علم آخر يسعى لاستكشاف القوانين من أجل استخذامها وتوظيفها لمعالجة الظواهر القائمة والمستقبلية ".

يمكن القول إن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر العصور والأجيال.